

القراءات المتواترة في المصاحف المخطوطة
دراسة تطبيقية على المصحف المملوكي المؤرخ بسنة (877هـ)
من خلال سورتي الفاتحة والبقرة

**The Mutawātir Recitation Styles in Qur'ānic Manuscripts:
An Applied Study of the Mamluk Muṣḥaf Dated (877AH) Through
Surah Al-Fātiḥah and Al-Baqarah**

أ. د حسن سالم هبشان*

جامعة الشارقة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية (الإمارات)

hhabshan@sharjah.ac.ae

تاريخ النشر: 2025/12/31

تاريخ القبول: 2025/12/06

تاريخ الارسال: 2025/11/08

ملخص:

يحمل هذا البحث عنوان: "القراءات المتواترة في المصاحف المخطوطة: دراسة تطبيقية على المصحف المملوكي المؤرخ بسنة (877هـ) من خلال سورتي الفاتحة والبقرة"، وتُعد دراسة المخطوطات القرآنية من المباحث التي لفتت نظر كثير من الباحثين؛ ويهدف البحث إلى إثبات وثاقة النص القرآني وأصالته من حيث تطابق كثير من مخطوطاته مع بعضها البعض، كما أنه يسفر عن زوايا حديثة في موضوعات علوم القرآن الكريم من حيث التعرف عن قرب على مواصفات ومعلومات مهمة عن زمان ومكان ومنهجية الخطاطين في العصور السابقة، وكذا إبراز جوانب شكلية فنية أخرى كزخرفة وشكل هذا المصحف الكريم مع التركيز على الجوانب العلمية المتعلقة بعلم القراءات القرآنية أصولاً وفرشاً في سورتي الفاتحة والبقرة.

وتحليل المضمون الداخلي لمتعلقات وقضايا علم القراءات والكلمات التي فيها خلاف في نطقها بين القراء، وقُسم البحث إلى مقدمة، ومبحثين: المبحث الأول: التعريف بالمصحف المملوكي، والمبحث الثاني: دراسة بعض تطبيقات من صفحات هذا المصحف التي تمسُّ قضايا القراءات، وخلص البحث إلى عدة نتائج، منها:

* المؤلف المرسل

أن هذا المصحف المخطوط بقراءة أبي عمرو البصري، فيه دلالات واضحة على انتشار القراءات القرآنية في ذلكم العصر، وكذا تميز هذا المصحف بعناية كبيرة ورعاية راقية مكنته من الظهور في أبهى وأحلى حلة، ولعل ذلك يرجع إلى رعاية سلطانية من الدولة آنذاك، كما تميّز خطاط هذا المصحف بالبراعة في ابتكار رموز في ضبط علم القراءات، وتمييزها بألوان أو إضافة رموز بجانبها ميّزته عن غيره من الخطاطين، لذا يُعد خطّاط هذا المصحف موسوعة علمية كبيرة، كما لديه إحاطة بالكثير من علوم القرآن، كالقراءات وعدّ الآي والرّسم والضبط والتجويد وغيرها، جعلت ما قدمه من مخطوطة تبدو رائعة وثرية بالعلوم، وتُعدّ هذه النسخة من النسخ العتيقة التي قاربت أن تكون ألفتية، وقد اكتملت فيها شروط ومظاهر الكتابة التي استقرّ عليها العلماء، إلا ما كان من اختلافات يسيرة، وغيرها من النتائج الموجودة في مظانها.

الكلمات المفتاحية: القراءات، الرسم، الضبط، مصحف، المملوكي.

Abstract:

This paper is entitled: “The Mutawātir Recitation Styles in Qur’ānic Manuscripts: An Applied Study of the Mamluk *Muṣḥaf* Dated (877AH) Through Surah Al-Fātiḥah and Al-Baqarah”. The study of Qur’ānic manuscripts is considered one of the topics that have caught the attention of many researchers; this paper aims to establish the authenticity of the Qur’ānic text and its originality through the concordance among many of its manuscripts, to yield new perspectives in the field of Qur’ānic sciences through the close examination of important information and characteristics pertaining to the time, place, and methodologies of the calligraphers in the previous eras, and to highlight other artistic and structural aspects like the embellishment and the structure of this particular *muṣḥaf*, while focusing on the scientific elements related to the science of Qur’ānic recitations — both in terms of foundational principles and word-specific rules — in Surah Al-Fātiḥah and Surah Al-Baqarah.

This research adopted an analytical and descriptive methodology in its examination of the physical condition of the *muṣḥaf* and analysis of its contents pertaining to the issues and topics of the science of Qur’ānic recitations, including specific words over which reciters differ regarding its pronunciation. This paper is divided into an introduction and two sections: section one: an introduction to the Mamluk *muṣḥaf*, and section two: a study of some of the applications found within the pages of this *muṣḥaf* that touch

— القراءات المتواترة في المصاحف المخطوطة دراسة تطبيقية على المصحف المملوكي المؤرخ بسنة (877هـ)

on the issues of recitation styles. This study reached several conclusions, including: this Qur'ānic manuscript is following the recitation style of Abu 'Amr Al-Baṣrī, in it are clear indicators of the propagation of the Qur'ānic recitation styles during that era, and is distinguished by the meticulous and sophisticated care that was put into it which resulted in its most refined and masterly presentation, which may be attributed to the royal patronage provided by the state at the time. The calligrapher of this *muṣḥaf* is notable for his ingenuity in devising symbols to modulate the science of Qur'ānic recitations and distinguishing between them using colours or the addition of other symbols beside them, setting him apart from other calligraphers. Thus, he is considered a vast, scientific encyclopaedia, given the depth of his knowledge of the Qur'ānic sciences like the recitation styles, counting of the *ayāt*, script, diacritical annotations, *tajwīd*, and others, which rendered his manuscript remarkable and rich in knowledge. This manuscript is considered to be among the ancient manuscripts that are almost a millennium in age and it fulfils the conventions and characteristics of writing recognised by the scholars, aside from a few minor discrepancies.

Keywords: recitation styles, script, diacritical annotations, *muṣḥaf*, Mamluk.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مُقَدِّمَةٌ:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الصادق الأمين وصحابته الغر

الميامين، وبعد:

تكشف لنا المخطوطات القديمة لاسيما مخطوطات القرآن الكريم عن قيمة علمية تاريخية وفنية عظيمة، فكل مصحف من تلك المصاحف يروي لنا قصة تبرز جهداً كبيراً قام به أهل العصر الذي كُتِبَ فيه، ويفسر لنا نمط وشكل الخط الذي كُتِبَ به القرآن والقراءات الواردة فيه، وكذا شكل فواصل الآيات وأسماء السُّور، وغير ذلك مما تشتمل عليه المصاحف، ومما يستحق الدراسة فيها ومن المناسب عقد أبحاث علمية ذات منهجية وصفية وتحليلية لكل مصحف، تكشف عما فيه من الجوانب المشار إليها وغيرها، ولا شك أن في ذلك مزيد عناية واهتمام بالبنية التصميمية لثرائنا الأصيل الذي يجدر التوقف عنده ودراسة حالاته، والاستفادة منه خصوصاً كتاب الله المجيد.

أهمية الموضوع، وأسباب اختياره:

1. إبراز القيمة العلمية وتبسيط الضوء على هذا المصحف العظيم.
2. دراسة منهج الناسخ في عرض القراءات.
3. التطرق إلى الجانب التطبيقي لأصول وفرش الكلمات القرآنية.

إشكالية البحث:

على الرغم من التطور العلمي الكبير في طباعة المصاحف الشريفة، شاع لدى بعض الباحثين الاعتقاد بأن العودة إلى المصاحف المخطوطة لم تعد ذات جدوى، غير أن هذه المصاحف القديمة ما تزال تحتفظ بقيمة علمية بارزة؛ لما تشتمل عليه من معلومات دقيقة تتعلق بالرسم والضبط والقراءات وتاريخ النص القرآني. ومع ذلك، لم تحظ كثير من هذه المصاحف الخطية بالعناية الكافية من الدارسين، على الرغم من أهميتها في إثراء البحوث العلمية والتاريخية، ومن هنا تتحدد إشكالية هذا البحث في استكشاف القيمة العلمية لواحد من المصاحف المملوكية، وتحليل ما يتضمنه من قراءات متواترة وإشارات علمية أغفلها الدارسون.

أسئلة الدراسة:

تسعى هذه الدراسة إلى تحقيق أهدافها من خلال الإجابة عن الأسئلة الآتية:

1. ما الفائدة من دراسة المصاحف المخطوطة؟
2. ما القراءات المدونة في حاشية هذا المصحف؟
3. ما مدى توافق القراءات في هذا المصحف مع ما جاء في كتب القراءات المعتمدة.

أهداف البحث: تهدف الدراسة إلى تحقيق الأمور الآتية:

1. التعرف على المصحف المملوكي، وإبراز مكانته.
2. بيان القراءات الواردة في حاشية المخطوطة.
3. مطابقة القراءات الواردة في المصحف المملوكي مع كتب القراءات القرآنية.

حدود البحث:

سيكون عمل الباحث في هذه الدراسة -بإذن الله تعالى - في دراسة نظرية وتطبيقية لنماذج من المصحف المملوكي من سورتي الفاتحة والبقرة، ودراستها وربطها مع قواعد وأسس علمية رصينة في علم القراءات القرآنية.

— القراءات المتواترة في المصاحف المخطوطة دراسة تطبيقية على المصحف المملوكي المؤرخ بسنة (877هـ)

منهج البحث:

استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي، وذلك بتتبع المادة العلمية الخاصة بمعالجة قضايا القراءات القرآنية من مظاهرها المختلفة؛ الكتب المتخصصة، والرسائل والأبحاث العلمية، وغير ذلك، ثم تصنيفها وفق خطة البحث، ثم تحليلها ومناقشتها مناقشة فاحصة بُغية تحقيق أهداف البحث، ونتائج المرجوة.

الدراسات السابقة:

كثرت الدراسات حول المصاحف المخطوطة، ومنها:

1. المصاحف المخطوطة خلال القرن الثاني عشر الهجري المحفوظة في مكتبة المصحف الشريف في مكتبة الملك عبد العزيز بالمدينة المنورة، مجلة البحوث والدراسات القرآنية، المدينة المنورة، د. عبد الرحمن بن سليمان المزيني، العدد السابع، السنة الرابعة، 1430هـ - 2009م.

2. عناوين سور القرآن الكريم في المصاحف المملوكية مصحف السلطان الغوري أنموذجاً، محمد مجدي الديب، مركز تفسير للدراسات القرآنية، الرياض، الرابط:

<https://tafsir.net/research/76/nawyn-souar-al-qr-aan-al-krym-fy-al-msahf-al-mmlwkyt-mshf-as-sltan-al-ghoury-anmwdhjana>

3. مصحف المخليصي المخطوط سنة 353هـ دراسة وصفية تحليلية، غانم قدوري الحمد، مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية، جدة، العدد السادس عشر، ذو الحجة 1434هـ.

وغيرها الكثير من الأبحاث، إلا أن ما سيضيفه الباحث هو دراسة المصحف المملوكي وإبراز القراءات الواردة فيه، حيث تظهر قيمة البحث وأصالته العلمية.

خطة البحث:

اقتضت طبيعة البحث أن يتكون من مقدمة، ومبحثين، وخاتمة، كالآتي:

المقدمة: وتتكون من: أهمية الموضوع وأسباب اختياره، وأهدافه، وحدود البحث، ومنهجه، والدراسات السابقة فيه.

المبحث الأول: التعريف بالمصحف المملوكي، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الجانب الشكلي في المصحف المملوكي.

المطلب الثاني: الجانب العلمي في المصحف المملوكي.

المبحث الثاني: دراسة تطبيقات على القراءات في المصحف المملوكي، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: دراسة تطبيقات لأصول القراءات في المصحف المملوكي.

المطلب الثاني: دراسة تطبيقات لفرش القراءات في المصحف المملوكي.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج، والتوصيات.

المبحث الأول: التعريف بالمصحف المملوكي

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الجانب الشكلي في المصحف المملوكي:

إن معالجة إشكالية قراءة النص القرآني والعمل على تلاوة القرآن تلاوة صحيحة يجسد معالمها علم القراءات المتواترة ويسهم إسهاماً علمياً في تعريف القارئ بضوابط تلاوته لكتاب الله بحيث تكون تلاوة منضبطة وفق قواعد التلقي المتواتر عن النبي ﷺ.

ولم يحتج الصحابة الكرام - رضي الله عنهم - لمعرفة ضبط القراءات، فقد تلا النبي على أسماعهم كتاب الله وآتاهم الله استقامة في اللسان وبُعداً عن اللحن في كلمات القرآن حيث كانت لغتهم العربية لا تحتاج إلى ضبط شكلي لفهم مضامين النص القرآني، وذلك لفصاحة ألسنتهم وعربيتهما. وما ظهرت الحاجة إلى ضبط علم القراءات إلا لما اتسعت رقعة العالم الإسلامي واختلط لسان العرب بلسان الأعاجم، فاشتدّت الحاجة إلى ظهور علم القراءات؛ تذليلاً للصعاب في هجاء القرآن لغير الحاذق به والعارف بعلومه وفنونه حتى يكون في مأمن وصون من الخطأ واللحن المكروه في كلمات القرآن الكريم وحروفه.

وكانت بدايات رسم المصاحف العثمانية مجردة من العلامات الكتابية وغيرها، ووجد علماء التابعين ومن جاء بعدهم الحاجة إلى إلحاق علامات تدل على الحركات وتمييز الحروف المتشابهة في الصورة؛ لتساعد القارئ على القراءة الصحيحة بأوجه الخلاف الأدائية لكلام الله تعالى.

وفيما يأتي نبذة تعريفية عن هذا المصحف المملوكي:

الجانب الشكلي في المصحف المملوكي:

1. حالة النُّسخة:

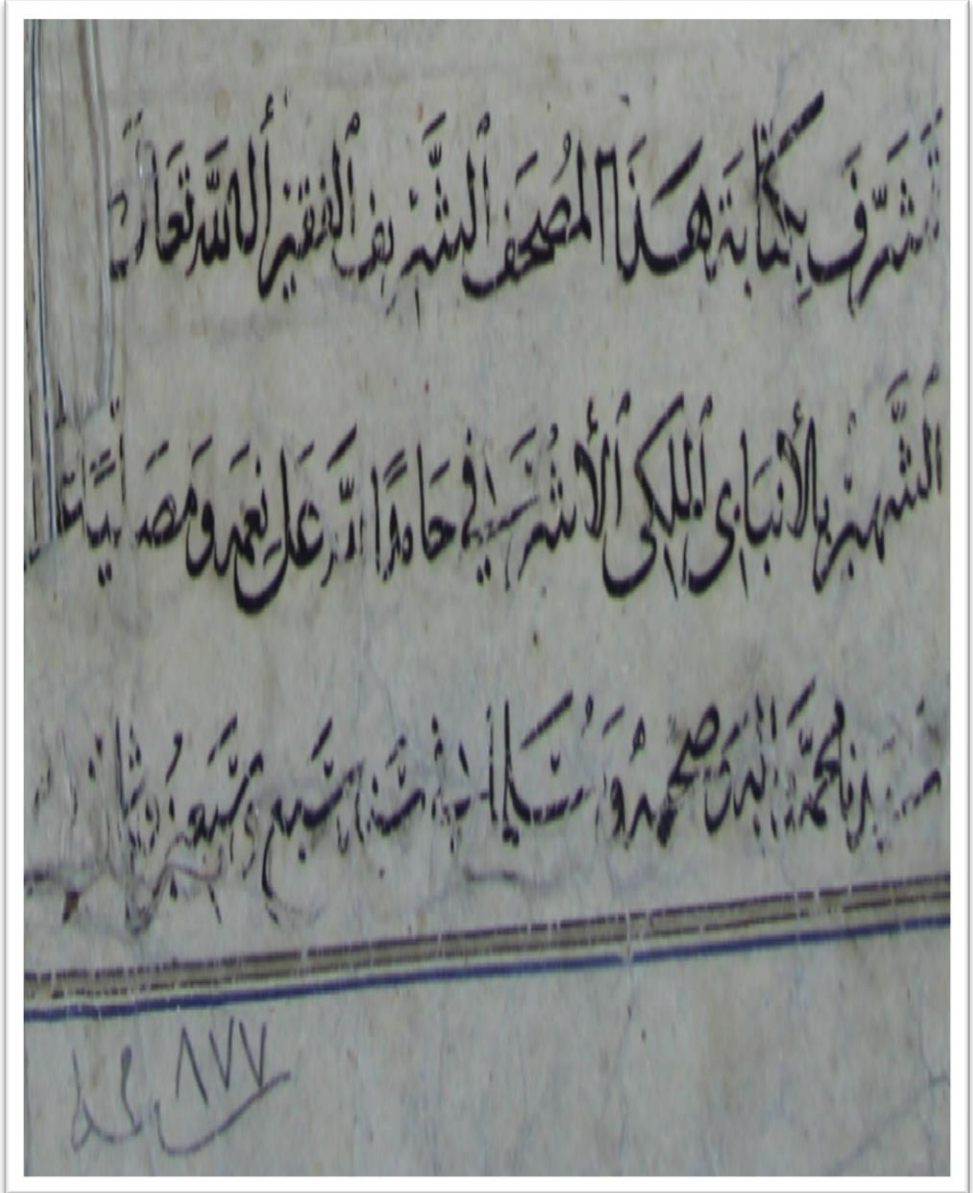
تميّزت هذه النُّسخة بأنّها مكتملة من سورة الفاتحة حتى سورة الناس خاليةً من الآفات، سليمة عمّا يعيها ممّا يصيب النُّسخ القديمة عادة من تفكُّك وتمزُّق وأرضة أو رطوبة تؤثر على حبرها أو ورقها، إلا أنّها فيها بعض الترميم **لبعض الكلمات**، كما هو موضح في الصورة أدناه:



— القراءات المتواترة في المصاحف المخطوطة دراسة تطبيقية على المصحف المملوكي المؤرخ بسنة (877هـ)

2. تاريخ المصحف وخطاطه:

هذا المصحف هو من المصاحف المخطوطة في القرن التاسع الهجري، فهو مؤرخ بسنة 877هـ، على يد الخطاط الشهير بالأنبائي الملكي الأشرفي. كما هو مبين في آخر المصحف في الصورة أدناه:



3. بيانات الحفظ والخط والورد والمدا:

هذه النسخة الشريفة من محفوظات المكتبة الوطنية بوزارة الثقافة والسياحة بتركيا برقم التصنيف: (297-11)، ورقم الأصول الثابتة: (15740).



عدد أوراقه:

وبلغ عددُ أوراق المصحف: 329 ورقة، وجاء ترقيُّمُها في الجهة اليسرى فقط دون اليمنى، وإذا أُضيفت صفحاتُ الجهة اليمنى بلغ مجموعُ صفحاته 659 صفحة، مع ورقةٍ أخيرةٍ غير مُرقَّمة، ويتبيَّن للباحث، بعد الاطلاع على هذا المصحف، أن الخطَّاط لم يضع أيَّ ترقيمٍ لأوراقه، وأن الترقيمَ المثبت في رؤوس الصفحات ترقيمٌ حديث، ليس من عمل الخطَّاط الأول، وإنما من صنيع المُفهرِّس - كما يظهر للباحث - إذ وُضع في الزاوية دون زخرفة أو طرازٍ فتي ينسجم مع خصائص المصاحف المخطوطة، وهي سِمَةُ درج عليها الخطاطون. كما هو موضَّح في الصورة أدناه:



— القراءات المتواترة في المصاحف المخطوطة دراسة تطبيقية على المصحف المملوكي المؤرخ بسنة (877هـ)

ويكتب المصحف بحيث تتضمن كل صفحة ثلاثة عشر سطرا، وذلك على ورق بُي اللون، وبمدايد أسود للنص القرآني، وآخر مُلوّن لما سواه من فواتح السور والعشور والخموس وعلامات السجّادات. أما الحواشي فبخط النسخ المحقّق أو الريحان المُجوّد للنصّ القرآني، وبخط الثلث لأسماء السور، كما يظهر في الصورة أدناه



وعند أسماء السور لم يلتزم الناسخ لونًا واحدًا؛ فاستعمل تارة اللون الأسود، وتارة الأزرق، وأحيانًا الأصفر أو الرمادي أو الأحمر. أما رؤوس الآيات فجاءت مرةً باللون البني وأخرى باللون الأصفر، وظهرت أسماء الأحزاب باللون الأزرق، في حين كُتبت القراءات السبع في الهامش باللون الأحمر. أمّا تفسير الآيات، والأحاديث المبيّنة لمعانيها، وأسباب النزول – عند ذكرها – فجميعها كُتبت بالمداد الأسود.

4. التجليد والزخرفة والتذهيب:

جاءت نسخة المصحف مُجلّدةً بالجلد البني الداكن، ومزدانةً بزخارف مضغوطة على الأطراف، مرسومة على هيئة أقواسٍ معكوفةٍ مقصوفةٍ، وموضوعةٍ عند الزوايا الأربع، ويتوسط الغلافَ قلادةٌ متطاولة مزخرفةٌ بشكلٍ بيضاويٍّ مُذهَّب، يعلوها ويلبها من الأسفل شكلٌ بيضاويٌّ مصغرٌّ، يمنح الواجهة الأمامية للمصحف بعدًا جماليًا متناغمًا.



— القراءات المتواترة في المصاحف المخطوطة دراسة تطبيقية على المصحف المملوكي المؤرخ بسنة (877هـ)

أما الورقة الأولى – التي كُتبت فيها سورة الفاتحة وأربع آيات من سورة البقرة – فقد زُخرفت بلوحة استهلالية مُزركشة بالزَّهر والزخارف النباتية المتداخلة ذات التيجان الهندسية، على هيئة إطارات تُحيط بالآيات، ملونة بالذهب والزُّرقة والحُمْرة، وكُتب في أعلاها اسمُ السورة، وفي أسفلها عددُ آياتها وبيانُ كونها مكيَّةً أو مدنيَّة. وقد وُصفت سورة الفاتحة بلفظ (مكيَّة مدنيَّة)، في إشارةٍ إلى اختلاف الأقوال في مكِّيَّتها ومدنيَّتها⁽¹⁾، وذلك ضمن كُتبيَّة مؤطَّرة باللون بالزَّيتي.



⁽¹⁾ ينظر لموضوع الخلاف في المكي والمدني: الكشف عن حقائق غوامض التنزيل، محمود جار الله الزمخشري، دار الريان للتراث بالقاهرة - دار الكتاب العربي ببيروت، ط: 3، 1987 م، (1/1).

المطلب الثاني: الجانب العلمي في المصحف المملوكي:

يُلاحظ أن العناية بالمصاحف المخطوطة من حيث جوانبها العلمية ما تزال دون المستوى المطلوب، على الرغم مما تشتمل عليه هذه المصاحف من علوم متنوّعة؛ كالقراءات، والتجويد، وعلم الوقف والابتداء، وعدّ الآي، وغيرها. وقد غلّبت بعض الدراسات الجانبَ الشكلي؛ من حيث الجماليات والزخرفة والألوان، على إبراز القيمة العلمية لهذه المصاحف، ودراسة ما تحويه من معارف وموادّ ثرية، وتسعى هذه الدراسة إلى معالجة الجوانب العلمية في المصاحف المخطوطة، بعد الإشارة السابقة إلى الجوانب الشكلية والفنية، كما سيأتي:

1. علم عدّ الآي:

يظهر من خلال صفحات المصحف أن الناسخ لم يضع أرقام الآيات داخل الشكل المخصّص لنهاية الآية، بل اكتفى برسم شكلٍ مزخرف لرأس الآية في موضع الوقف دون إدراج الرقم داخله، وعند مواضع الخلاف بين أهل العدّ في بعض رؤوس الآي، يضع الناسخ تحت شكل رأس الآية نقطتين وفوقها فاصلة، كما هو موضّح في الصورة أدناه:



— القراءات المتواترة في المصاحف المخطوطة دراسة تطبيقية على المصحف المملوكي المؤرخ بسنة (877هـ)

وبناءً على هذا الأسلوب في الضبط، لا يتضح للباحث العد الذي اعتمده الناسخ في مصحفه؛ إذ يشتمل المصحف على جميع مواضع الخلاف في عدد الآي بين العلماء، وهي ميزة تُميّزه عن كثير من المصاحف، لكونه يجمع في طياته البعدين النظري والتطبيقي لعلم عدد الآي، كما يذكر الناسخ في فاتحة كل سورة اسمها وعدد آياتها، ويتبع ذلك بالإشارة إلى مواضع الخلاف في رؤوس الآي، وبيان نوع السورة من حيث كونها مكية أم مدنية، إضافة إلى ذكر عدد كلمات السورة وعدد حروفها، كما هو موضح في الصورة أدناه:



كما يقوم بتحزيب المصحف باللون الأزرق كما هو مبين في الصورة أدناه:



2. علم الوقف:

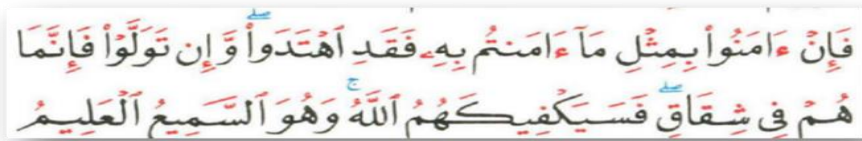
استعمل كاتبُ المصحف علامات الوقف المستمدة من التقسيم الرباعي للوقوف: التام والكافي والحسن والقبیح، إلا أنه يظهر من خلال صفحاته أنه اقتصر على استعمال علامتي الوقف التام والوقف الكافي دون غيرهما، وتختلف هذه العلامات اختلافاً بيّناً عن العلامات المتداولة في مصاحف المشاركة، مثل: (صلى)، (قلى)، (ج)، (م)، وغيرها، كما هو موضح في الأمثلة الآتية:

— القراءات المتواترة في المصاحف المخطوطة دراسة تطبيقية على المصحف المملوكي المؤرخ بسنة (877هـ)

(1) رمز حرف (ت): يُمثّل علامة الوقف التام، وقد ورد في المصحف باللون الأزرق، ويُقابلها في مصحف الوراق بالله⁽¹⁾ رمز (قلي)، مثل:



(2) رمز حرف (ك): يُمثّل علامة الوقف الكافي، وقد جاء في المصحف باللون الأزرق، في أول البقرة: ويقابله في مصحف الوراق بالله رمز (ج) أو (صلي)، كما في المثال الآتي:



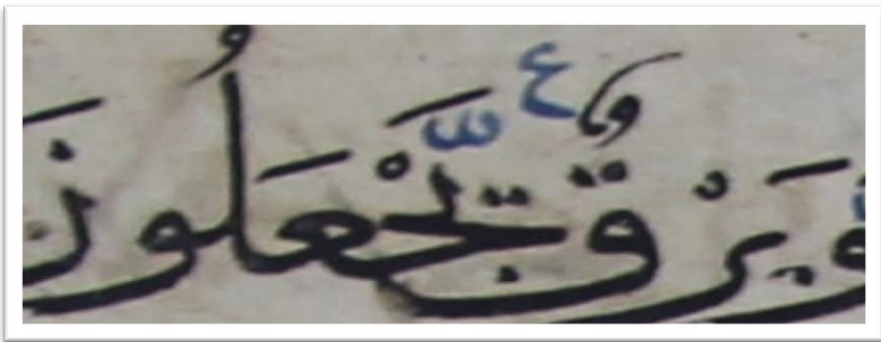
⁽¹⁾ نموذج لمصحف المشاركة، هو مصحف الوراق بالله الحاج حسن البلقية سلطان بروناني دار السلام، الطبعة الأولى، (2006م)، وقد طُبِعَ في سلطنة بروناني برعاية السلطان حسن البلقية، وصدر المصحف بنسختين بروائني حفص وشعبة عن عاصم الكوفي من طريق الشاطبية، ويتميّز بالضبط الملون وجمال التشكيلات الخطية، وهو من عمل الدكتور أشرف طلعت المصري.

ويلاحظ كتابة الحرفين (ك) و(ت) معًا فوق كلمة (ينفقون)، مما يدلّ على أنّ الناسخ جمع بين علامتي الوقف التام والكافي عند هذا الموضع، أي أنّه يرى احتمال الوقفين معًا.



3. علامات الأداء:

- رمز حرف (ع): استخدمه الكاتب باللون الأزرق للدلالة على مواضع الإدغام الصغير، سواء كان بغنة أو بغير غنة، كما هو موضّح في الصورة أدناه.

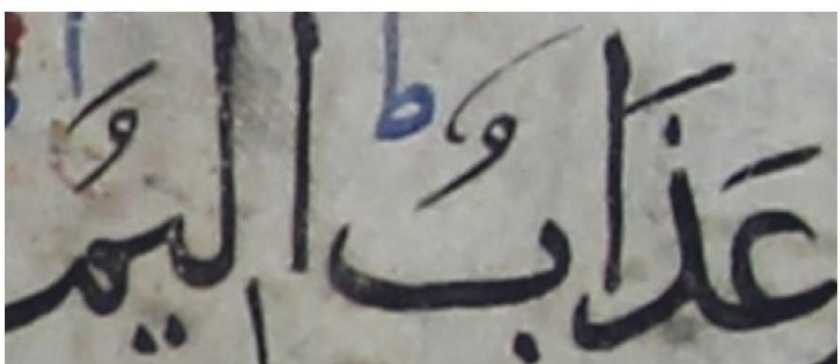


— القراءات المتواترة في المصاحف المخطوطة دراسة تطبيقية على المصحف المملوكي المؤرخ بسنة (877هـ)

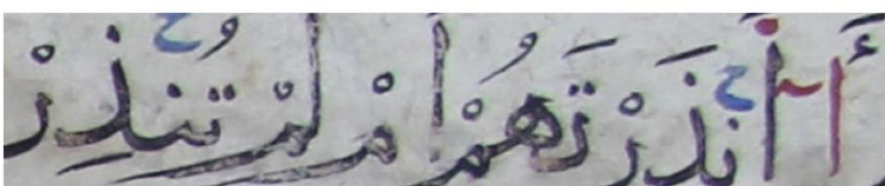
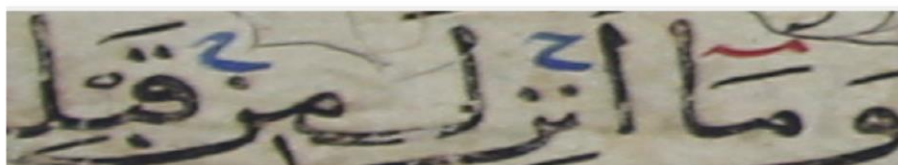
- رمز حرف (ط): باللون الأزرق، وهو علامة لحكم الإظهار (يريد ظ):



،

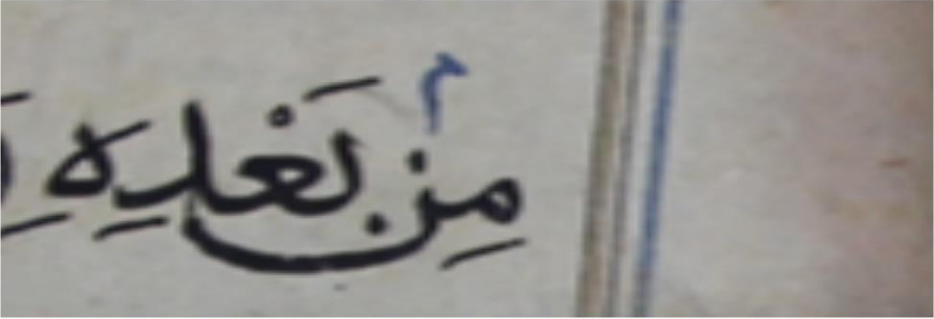


- رمز حرف (ح): باللون الأزرق وهو علامة لحكم الإخفاء (يريد خ):



،

- رمز حرف (م): باللون الأزرق للدلالة على حكم الإقلاب:



- 1) رمز المد ((~)) باللون الأزرق للمد الواجب، وباللهون الأحمر ((~)) للمد الجائز ومد الصلة، كما هو مبين في الصورة أدناه:



— القراءات المتواترة في المصاحف المخطوطة دراسة تطبيقية على المصحف المملوكي المؤرخ بسنة (877هـ)

المبحث الثاني: دراسة تطبيقات على القراءات في المصحف المملوكي

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: دراسة تطبيقية لأصول القراءات في المصحف المملوكي:

لقد عدَّ المصنّفون في علم الرسم موافقة الرسم العثماني شرطاً أساساً لقبول القراءة⁽¹⁾، أو معياراً لردّها والحكم عليها بالشذوذ عند مخالفتها له، مع أنّ الأصل في القراءة هو الرواية. وانطلاقاً من هذا، جاءت القراءات منصوبةً عليها في المصاحف المخطوطة؛ إذ تُعدّ موافقتها للرسم العثماني - المتمثّل في المصاحف العثمانية، تحقيقاً أو احتمالاً - مع ثبوت النقل، من أهمّ الضمانات لصون القراءات وبقاء نصوصها العتيقة، والحدّ من أيّ محاولة للتحريف أو التزييف في نصّ القرآن وقراءاته.

وقد قرّر الشيخ الإمام أبو العباس الكواشي الموصلي (ت 680هـ) هذا الأصل في مقدّمة تفسيره التبصرة بقوله: "وكلّ ما صحّ سنده، واستقام وجهه في العربية، ووافق لفظه خطّ المصحف الإمام فهو من السبعة المنصوص عليها ولو رواه سبعون ألفاً مجتمعين أو متفرّقين؛ فعلى هذا الأصل بُني قبولُ القراءات عن سبعة كانوا أو سبعة آلاف، ومتى فقد واحدٌ من هذه الثلاثة المذكورة في القراءة فاحكم بأنها شاذة. انتهى"⁽²⁾.

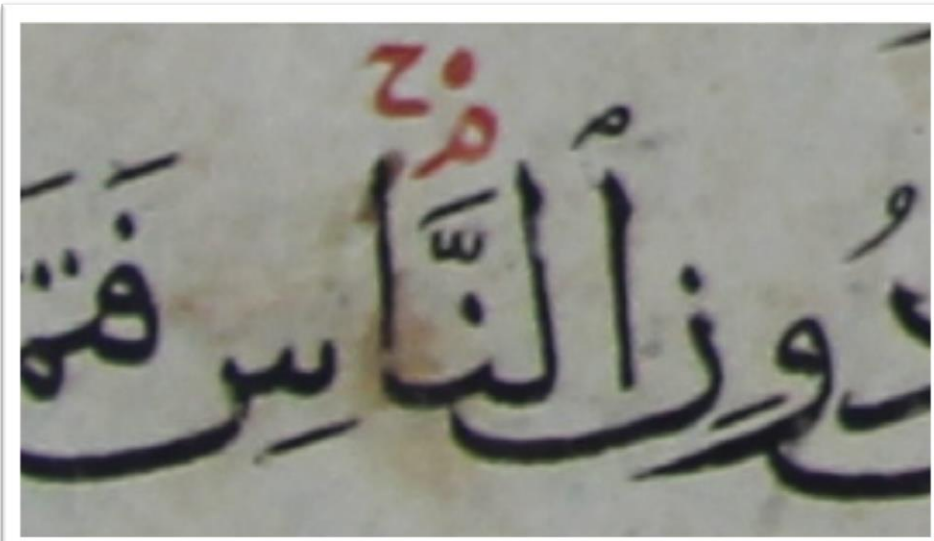
ومما سبق يتبيّن أن المصاحف المخطوطة قد اعتنت بالقراءات عنايةً بالغة، وأثبتت أصولها وفرشها في نصوصها، فكانت من أقدم الشواهد التي وثّقت القراءات إلى جانب المصنّفات المتقدّمة في هذا الفنّ.

(1) قرّر هذا الشرط - وهناك شرطان آخران، هما: التواتر أو صحة السند، وموافقة اللغة العربية ولو بوجه - كثيرٌ من العلماء، منهم: مكي بن أبي طالب، وأبو شامة، وابن الجزري. ينظر على الترتيب: الإبانة عن معاني القراءات، أبو محمد مكي بن أبي طالب حمّوش بن محمد القيسي القيرواني (ت: 437هـ)، تحقيق: عبد الفتاح إسماعيل شلبي، دار نهضة مصر للطبع والنشر، مصر، بدون رقم وتاريخ الطبعة، (ص32)، و(ص51) المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز، أبو القاسم شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي الدمشقي المعروف بأبي شامة (ت: 665هـ)، تحقيق: طيار آلي قولاج، دار صادر، بيروت، بدون رقم الطبعة، 1395 هـ - 1975 م، (ص145، 178)، النشر في القراءات العشر، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (ت: 833 هـ)، تحقيق: علي محمد الضباع، المطبعة التجارية الكبرى، مصر، بدون رقم وتاريخ الطبعة، (1/11-12)، وينظر تفصيل ذلك في: التواتر في القراءات القرآنية وما أثير حوله من شبهات، د. حسن سالم هبشان، طبع جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، ط1: 2013م، (ص209) وما بعدها.

(2) نقل عنه ابن الجزري في النشر في القراءات العشر، (44/1).

ومن الأمثلة المضروبة على وجود القراءات واختلاف وجوها كما قوله تعالى: ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾ [آل عمران: ١٨٤]، فكتبت في مصحف الشام (بالبينات وبالزبر) بإثبات الباء، وقرأ بها أهل الشام؛ لأنها موافقة لمصحفهم، وحذفت الباء في المصاحف الأخرى^(١).

أما هذا المصحف المملوكي فقد ضُبط بحسب قراءة أبي عمرو البصري بروايته الدُّوري والسُّوسي - كما يبدو للباحث - حيث يذكر المصحف رواية السوسي والدوري أصولاً وفرشاً. فقد أشار إلى الإمالة برمز حرف الميم باللون الأحمر فوقه نقطة وبجانبه حرف الحاء لعله يرمز به إلى القارئ دوري أبي عمرو البصري، وهو رمز القارئ أبي عمرو البصري الذي ابتكره الإمام الشاطبي في منظومته حرز الأمانى ووجه التهاني^(٢)، ويميل الدوري عن أبي عمرو البصري فتحة النون من كلمة ﴿النَّاسِ﴾ في موضع الجر حيث وقع، وهو مما انفردت به رواية دوري أبي عمرو في الأصول عن باقي الروايات^(٣) كما هو موضح في الصورة أدناه:



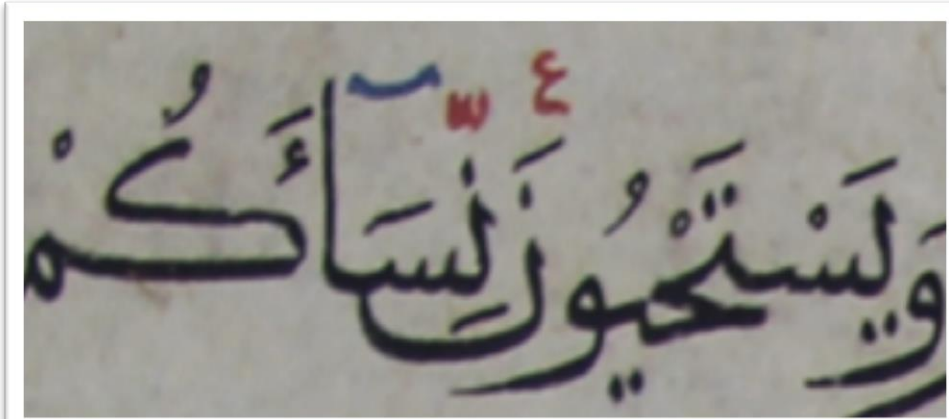
(١) الحجة في القراءات السبع، الحسين بن أحمد بن خالويه، أبو عبد الله (ت 370 هـ)، تحقيق: عبد العال سالم مكرم (ت: 1429 هـ) الأستاذ المساعد بكلية الآداب - جامعة الكويت، دار الشروق - بيروت، ط: 4، 1401 هـ، (ص 118).

(٢) الوافي في شرح الشاطبية، عبد الفتاح القاضي، مكتبة السوادى للتوزيع، جدة، ط: 4، 1992 م، (ص 23).

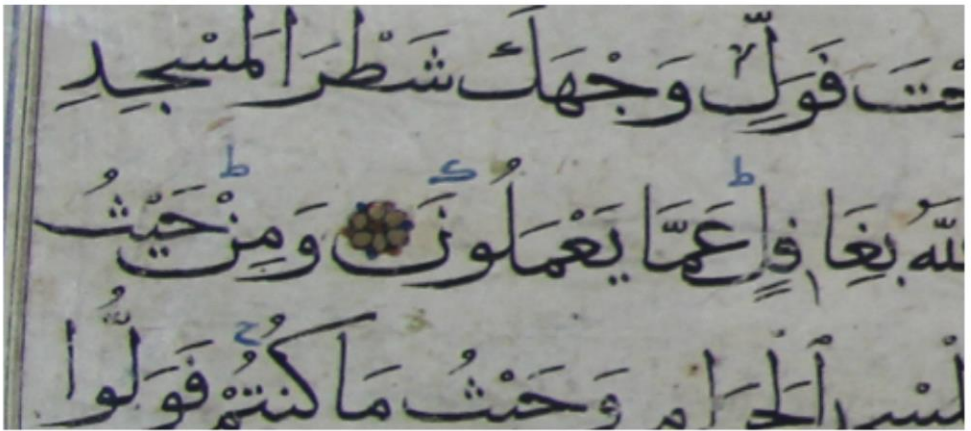
(٣) النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، (62/2).

— القراءات المتواترة في المصاحف المخطوطة دراسة تطبيقية على المصحف المملوكي المؤرخ بسنة (877هـ)

وكذا أشار إلى الإدغام الكبير للسوسي، ويرمز له بحرف (العين) باللون الأحمر مع وضع شدة على الحرف الثاني من الحرفين المدغمين، وهو مما انفردت به رواية السوسي عن باقي الروايات، وهذا هو المعول عليه عند أهل الأداء⁽¹⁾، كما هو موضح في الصورة أدناه:



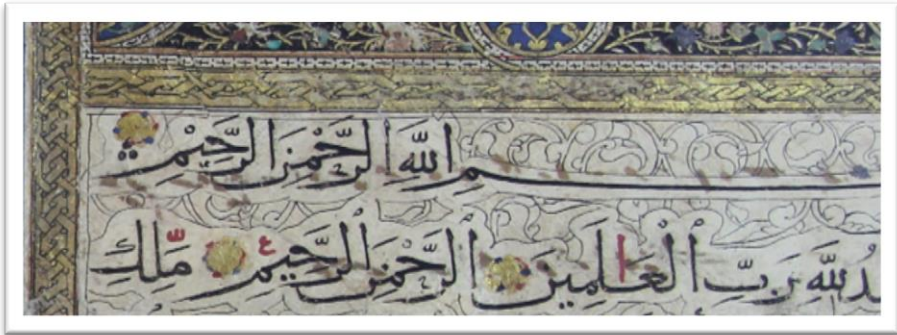
وأما في الفرش فمما انفرد به أبي عمرو عند قوله تعالى: ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة:149]، قرأها بياء الغيب، والباقون بتاء الخطاب⁽²⁾، كما في الصورة أدناه:



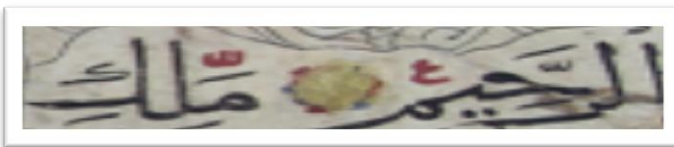
(1) الوصيد في شرح القصيد، علي بن عبد الصمد السخاوي (ت: 643هـ)، تحقيق: أحمد عدنان الزعبي، مكتبة دار البيان للنشر والتوزيع - الكويت، ط: 1، 2002 م، (1/315).
(2) النشر في القراءات العشر، ابن الجزري (223/2).

ونتطرق بعد هذه المقدمة على بعض الأصول الخاصة برواية القارئ أبي عمرو البصري براوييه ودراستها، كما يأتي:

- الإدغام الكبير للسوسي⁽¹⁾: عند قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ۝ ٣ مَلِكٍ يَوْمَ الدِّينِ ۝﴾ [الفاتحة: 3-4]، حيث رسمت هكذا:



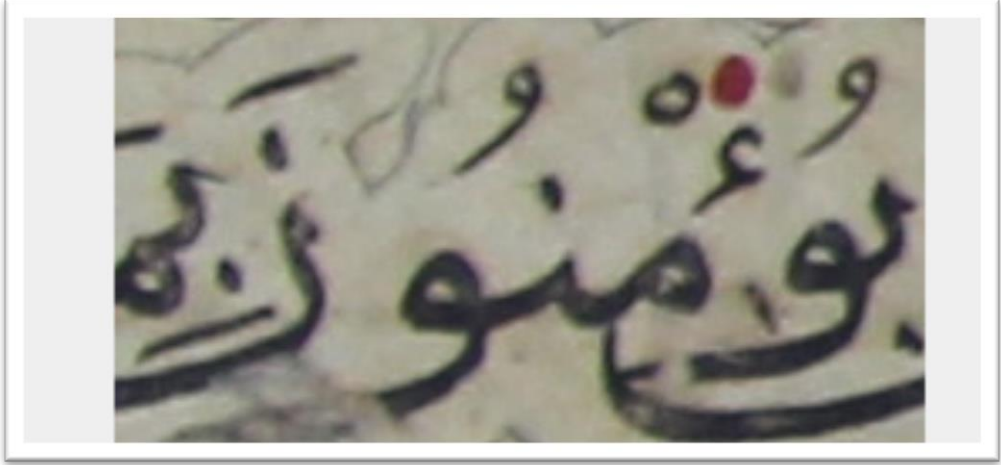
حيث أدغم السوسي ميم (الرحيم) في ميم (ملك) فتصير (الرحيمَلك)، ورمز له بحرف (ع): باللون الأحمر للدلالة على الإدغام الكبير برواية السوسي عن أبي عمرو، وقد يكون المقصود (غ) لكنه كتبه بغير نقطة، وقد يكون المقصود الإشارة إلى أبي عمرو بن العلاء، والأرجح أنه يريد (إدغام)؛ لأنه وضع العلامة على الحرف المدغم وعلامة الشدة على الحرف المدغم فيه كما في الصورة أدناه:



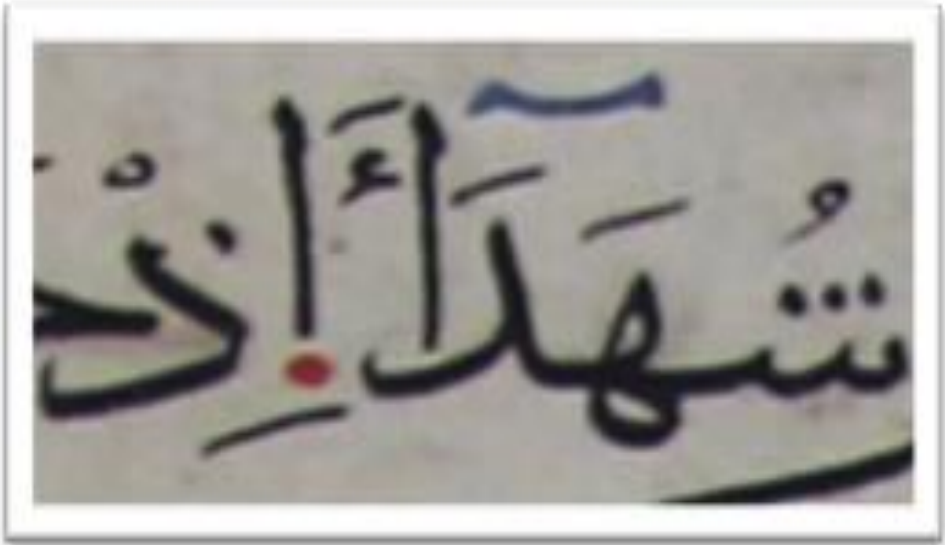
(1) ما كان الأول من الحرفين فيه متحركاً سواء أكانا مثلين أم جنسين أم متقاربين. النشر، ابن الجزري (274/1). مختصر العبارات لمعجم مصطلحات القراءات، إبراهيم الدوسري، دار الحضارة للنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط:1، 1429 هـ - 2008 م، (ص19).

— القراءات المتواترة في المصاحف المخطوطة دراسة تطبيقية على المصحف المملوكي المؤرخ بسنة (877هـ)

- رمز النقطة ((□)): مدورة مسدودة الوسط حمراء على الهمزات المبدلة وكذا المسهلة، حيث يبدل السوسي كل همز مسكن حرف مد⁽¹⁾، نحو:



كما يسهل البصري الهمزة المكسورة بعد فتح⁽²⁾، نحو:



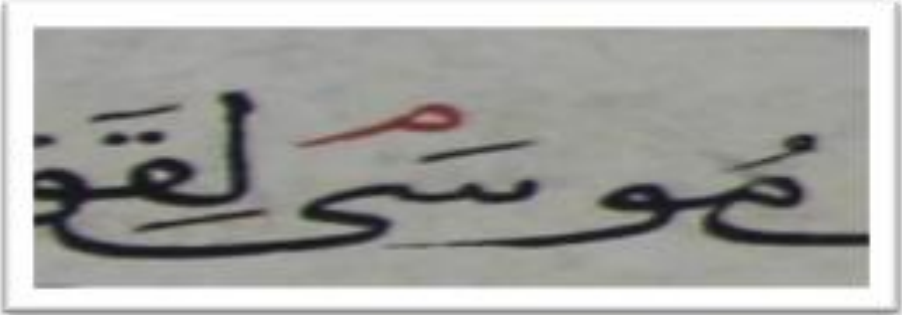
(1) النشر في القراءات العشر، ابن الجزري (223/2).

(2) النشر في القراءات العشر، ابن الجزري (223/2).

- رمز حرف ((م)) فوقه نقطة حمراء: استعمله الكاتب للدلالة على إمالة الألف، أي إمالة كل ألف بعدها راء متطرفة مكسورة⁽¹⁾، نحو:



وبدون نقطة للدلالة على التقليل⁽²⁾ مثل:



ولرؤوس الآي التي لأبي عمرو فيها التقليل⁽³⁾ كذلك، مثل:



⁽¹⁾ تقريب المعاني في شرح حرز الأمانى، سيد لاشين، خالد العلي، مكتبة دار الزمان للنشر والتوزيع، المدينة المنورة، ط:5، 2006م، (ص138).

⁽²⁾ تقريب المعاني في شرح حرز الأمانى، سيد لاشين (ص136).

⁽³⁾ تقريب المعاني في شرح حرز الأمانى، سيد لاشين (ص136).

— القراءات المتواترة في المصاحف المخطوطة دراسة تطبيقية على المصحف المملوكي المؤرخ بسنة (877هـ)

- ووضع ميم مرتبط بواو فوقه نقطة وحرف الجيم عند قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ﴾ [البقرة: 55]، وفيها الإمامة وقفًا لأبي عمرو، وعند الوصل أمال السوسي بخلفه وله عند الإمامة ترفيق لام لفظ الجلالة أو تغليظه ولعله يرمز به إلى هذا الخلاف⁽¹⁾، كما هو في الصورة:



المطلب الثاني: دراسة تطبيقية لفرش القراءات في المصحف المملوكي:

- كلمة ﴿مَلِكٍ يَوْمَ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: 4]، حيث يقرأها أبو عمرو البصري بدون ألف (ملك)⁽²⁾، ورسمت كما تقرأ.



(1) النشر في القراءات العشر، ابن الجزري (2/117-118).

(2) النشر في القراءات العشر، ابن الجزري (2/223).

• حذف الألف في كلمة: ﴿يُخَدِّعُونَ اللَّهَ﴾ [البقرة: 9]، حيث يعمل الضابطُ

والناقطُ في جميع ما يشبه ذلك بالتخيير بين إلحاق المحذوف - بمعنى صورة المحذوف -، وبين ترك الإلحاق مطلقاً، أو ترك الإلحاق وضبط موضعه بعلامة المد⁽¹⁾، بمعنى إلحاق صورة الحرف المحذوف، أو لم يلحقها، أو يعوض عنها بعلامة المد ((~)). وهو ما يسمى بعلامات الإلحاق: وهي علامات تدل على ظواهر الرسم العثماني في الحذف والزيادة والبدل، أما الحذف فهو خاص بحرف الألف والواو والياء.

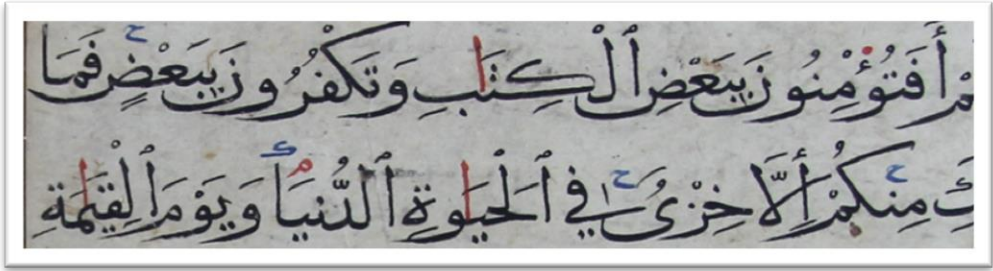
ويظهر أن هذا المصحف المملوكي يتبع منهجية المصاحف التركية والأعجمية مثل مصاحف بلاد ما وراء النهر القوقاز والبلقان، وهو أن يرمزون بها للمحذوف في الرسم وهو ضبط الحرف الذي حُذِف بعده الألف بألف صغيرة فوقه عوضاً عن الفتحة، أو أَلَف صغيرة أسفله عوضاً عن الكسرة إذا حُذِف بعده ياء، أو واو صغيرة فوقه عوضاً عن الضمة إذا كان المحذوف بعده واواً⁽²⁾.

فضبطت الألف الخنجرية في المصحف المملوكي هنا بصورة غليظة وطويلة للغاية، وتنطلق من نفس السطر مثل الحرف المثبت، كأنه أَلَف ممدودة، كما هو موضح في كلمة: ((الكتاب والحياة والقيامة)) في مقارنة بين المصحف المملوكي ومصحف الواثق بالله، كما في الصورة أدناه:

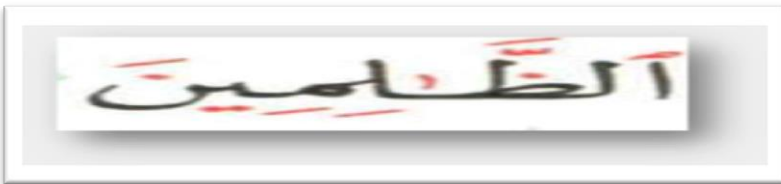


⁽¹⁾ دليل الحيزان، المارغني، (ص370-371).

⁽²⁾ الوصيد في شرح القصيد، السخاوي، (1/315).



وفي هذا الإجراء توسّع منه في إبراز طول هذه الألف، مع أن الأصل أنها ألف صغيرة تُرسم للدلالة على وجود ألفٍ محذوفة. أو لعله أراد بذلك إثبات هذه الألفات، مع أن الرسم العثماني يحذف هذه الألفات، مثل: القيامة، الحياة، الكتاب، وهو مذهبٌ مرجوح، بخلاف ما جاء عن الشيخين أبي داود والداني⁽¹⁾، إذ تُضبط بالألفِ صغيرة تُرسم أسفل الحرف عوضاً عن الكسرة إذا حُذفت بعدها ياء، كما يظهر في الصورة:



⁽¹⁾ دليل الحيران، المارغني، (ص 37).

- إثبات حرف الياء في كلمة دعان، حيث قرأها أبو عمرو بالياء هكذا: ((دعاني))⁽¹⁾، ولذلك ضُبِطت في المصحف المملوكي بإثبات الياء، وقد كُتبت باللون الأحمر، كما يظهر في الصورة:



- يصحّ الخطاط في حاشية مصحفه الذي خطه بشرح وبيان وجوه الخلاف في الكلمة التي ورد فيها اختلاف بين القُرَّاء؛ مثل قوله تعالى: ﴿وَلَا تُسَلِّ عَنْ أَصْحَابِ الْجَنَّةِ﴾ [البقرة: 119]، فقد قرأها نافع بفتح التاء وسكون اللام، والباقون بضمّ التاء⁽²⁾، وقد صرح الخطاط بذلك بقوله: "مدني ولا نسئل بفتح التاء مجزوم - أي اللام"⁽³⁾، كما في الصورة أدناه:



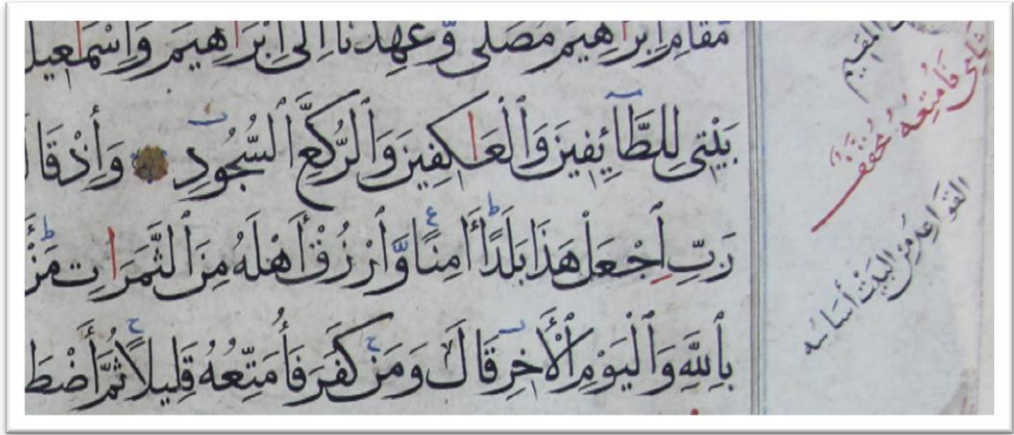
⁽¹⁾ تقريب المعاني، سيد لاشين (ص181).

⁽²⁾ النشر في القراءات العشر، ابن الجزري (221/2).

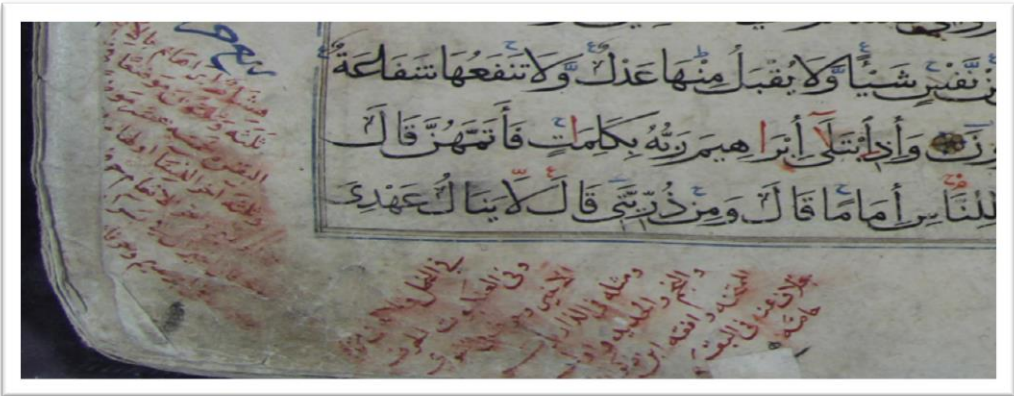
⁽³⁾ المصحف المخطوط، (ص10)، وإن كان كتب النون بدل التاء ولم تقرأ بالنون عند أحد من القُرَّاء، ولعله تصحيف في النقطة أو سقط.

— القراءات المتواترة في المصاحف المخطوطة دراسة تطبيقية على المصحف المملوكي المؤرخ بسنة (877هـ)

- وكذا كلمة: ﴿ فَأَمَّتْهُ قَلِيلًا ﴾ [البقرة: 126]، فقد قرأها ابن عامر الشامي بسكون الميم وتخفيف التاء، والباقون بفتح الميم وتشديد التاء⁽¹⁾، حيث كتب الخطاط بالهامش قوله: "الشامي فامتعه مخففاً"⁽²⁾، في إشارة إلى هذا الخلاف، كما في الصورة أدناه:



- يذكر الخلاف في الكلمة ذات المواضع المتعددة في أول ذكر للكلمة في القرآن الكريم، ولا يعيد ذكرها مرة أخرى، مثل كلمة: (إبراهيم) فقد ذكرها في أول ذكر لها في سورة البقرة⁽³⁾، كما في الصورة أدناه:



⁽¹⁾ الوافي، القاضي، (ص211).

⁽²⁾ المصحف المخطوط، (ص 11).

⁽³⁾ المصحف المخطوط، (ص 10).

كانت هذه بعض نماذج من نصوص القراءات في المصحف المخطوط، وفي الختام تؤكد هذه الدراسة على نفاسة هذه النسخة؛ للقيمة التاريخية العلمية التي تحملها، وللعلوم التي تحويها والعناية الكبيرة التي أوليت لهذه النسخة المباركة.

الخاتمة

وفيهما أبرز النتائج :

- (1) يتميز هذا المصحف بعناية فائقة ورعاية رفيعة مكّنته من الظهور في أبهى صورة وأجمل حُلة، ولعلّ ذلك يعود إلى الرعاية السلطانية التي حظي بها آنذاك، إمّا مباشرة أو عن طريق مراكز الخط في تلك الحقبة.
- (2) أظهر خطاط هذا المصحف براعةً في ابتكار الرموز وتمييزها بالألوان، كما أضاف رموزاً جانبية زادت من تفردّه وتمييزه عن غيره من الخطاطين.
- (3) إنّ الاهتمام بالمصاحف المخطوطة من الجوانب العلمية يمنحها زخماً أكبر من الاهتمام بها من الناحية الشكلية والفنية للمصاحف القديمة.
- (4) اعتنت المصاحف المخطوطة بتدوين القراءات في نصوصها، فكانت من أقدم المصادر التي وثّقت القراءات بأصولها وفرشها، إلى جانب كتب القراءات القديمة.
- (5) يبدو أن خطاط هذا المصحف كان ذا دراية علمية واسعة، وإحاطة بعلوم القرآن المتنوّعة؛ كالقراءات، وعدّ الآي، والرسم، والضبط، والتجويد، وغيرها من الفنون، الأمر الذي جعل مخطوطته ثريّة بالعلوم ودقيقة البناء.
- (6) اقتصر الخطاط في هذا المصحف على القراءات السبع دون العشر، وهو ما يتضح جلياً في هوامشه.
- (7) بيّن الخطاط في هامش المصحف أوجه الأداء في الكلمات المختلف فيها بين القراء.
- (8) يزخر هذا المصحف بالرموز الكثيرة ذات الدلالات العلمية الثرية، في دلالة على العناية الفائقة التي أولاها إياه الخطاط، وسعيه لإبراز مواهبه العلمية من خلالها.
- (9) ضبط الخطاط قراءة أبي عمرو البصري بروايته - في هذا المصحف - ضبطاً متقناً، وفق منهجية دقيقة ومنضبطة.

— القراءات المتواترة في المصاحف المخطوطة دراسة تطبيقية على المصحف المملوكي المؤرخ بسنة (877هـ)

(10) لم يُفرّق الخطاط بين روايتي الدُّوري والسوسي عن أبي عمرو، بل أثبتهما في الأصول والفرش دون تمييز بينهما.

(11) تُعدُّ هذه النسخة من النسخ العتيقة التي قاربت الألف عام، وقد استكملت أغلب خصائص الكتابة وشروطها التي استقرَّ عليها العلماء، مع وجود بعض الفروق اليسيرة.

(12) يبدو أنَّ إخراج هذه النسخة كان ثمرةً جهدٍ جماعي شارك فيه عددٌ من المتخصصين إلى جانب الخطاط، غير أنَّ الباحث لا يستطيع الجزم بذلك على وجه القطع.

أبرز التوصيات:

(1) يوصي الباحث بضرورة العناية بالمصاحف المخطوطة التي احتضنتها القرون السابقة، لما تمثّله من شواهد حيّة على وثوق النصّ القرآني، وتطوّر الخط العربي عبر العصور، دون أن يمسّ ذلك حفظ القرآن وصحّته أو يطرأ عليه تغيير، ومن ثمّ، فإنّ دراسة هذه المصاحف وتحقيقها تُعدّ مطلبًا علميًا جديرًا بالاهتمام.

(2) كما يوصي الباحث بإفراد دراسات متخصصة للمخطوطات القرآنية باعتبارها وثائق تاريخية وثقافية تكشف عن ملامح الزمان والمجتمع الذي كُتبت فيه، مع التركيز على تحقيقها ودراستها في ذاتها دون الاقتصار على مقارنتها بغيرها، لما لذلك من أثر في إبراز خصوصية كل مخطوطة وتميّزها.

واللهُ الموفِّق، والحمد لله رب العالمين

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً: القرآن الكريم.

ثانياً: المصادر والمراجع الأخرى:

- (1) الإبانة عن معاني القراءات، أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمَوْش بن محمد القيسي القيرواني (ت: 437هـ)، تحقيق: عبد الفتاح إسماعيل شليبي، دار نهضة مصر للطبع والنشر، مصر، بدون رقم وتاريخ الطبعة.
- (2) تقريب المعاني في شرح حرز الأمان، سيد لاشين، خالد العلوي، مكتبة دار الزمان للنشر والتوزيع، المدينة المنورة، ط: 5، 2006م.
- (3) التواتر في القراءات القرآنية وما أثير حوله من شبهات، د. حسن سالم هبشان، طبع جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، ط: 1، 2013م.
- (4) الحجة في القراءات السبع، الحسين بن أحمد بن خالويه، أبو عبد الله (ت: 370 هـ)، تحقيق: عبد العال سالم مكرم، دار الشروق - بيروت، ط: 4، 1401هـ.
- (5) دليل الحيران على مورد الظلمآن، إبراهيم بن أحمد المارغني (ت: 1349هـ)، دار الحديث- القاهرة.
- (6) غاية المريد في علم التجويد، عطية قابل نصر، دار القاهرة، ط: 7، بدون تاريخ الطبعة.
- (7) الكشف عن حقائق غوامض التنزيل، محمود جار الله الزمخشري، دار الريان للتراث بالقاهرة - دار الكتاب العربي بيروت، ط: 3، 1987م.
- (8) مختصر العبارات لمعجم مصطلحات القراءات، إبراهيم الدوسري، دار الحضارة للنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط: 1، 1429 هـ - 2008 م.
- (9) المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز، أبو القاسم شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي الدمشقي المعروف بأبي شامة (ت: 665هـ)، تحقيق: طيار آلتي قولاج، دار صادر، بيروت، بدون رقم الطبعة، 1395 هـ - 1975 م.
- (10) مصحف الواثق بالله حاج حسن البلقية سلطان بروناي دار السلام، ط: 1، 2006م، وهو نسختان بروائي حفص وشعبة عن عاصم الكوفي من طريق الشاطبية، وهو من عمل د. أشرف طلعت المصري.
- (11) النشر في القراءات العشر، محمد ابن الجزري، تحقيق: محمد علي الضباع، المطبعة التجارية الكبرى، مصر.
- (12) الوافي في شرح الشاطبية، عبد الفتاح القاضي، مكتبة السوادى للتوزيع، جدة، ط: 4، 1992م.
- (13) الوصيد في شرح القصيد، علي بن عبد الصمد السخاوي (ت: 643هـ)، ت: أحمد عدنان الزعي، مكتبة دار البيان للنشر والتوزيع - الكويت، ط: 1، 2002م.